جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



التُّرَاثُ الإِسْلَامِي

مَفْهُومُه – خَصَائِصُه – الاختِلَافُ المَنهَجِيّ في قِرَاءَتِه

الأستاذ الدكتور

خالد محمد حمدي صميدة

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية – جامعة الأزهر – مصر

التُّرَاثُ الإِسْلَامِي: مَفْهُومُه - خَصَائِصُه - الاختِلَافُ المَنهَجيّ في قِرَاءَتِه

خالد محمد حمدي صميدة

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر، مصر

البريد الإلكتروني: Khalidsemeda1645.el@azhar.edu.eg

الملخص:

بدأ الباحث بحثه بالحديث عن مفهوم التراث الإسلامي، ثم عرض الموقف من إشكالية إدخال نصوص الوحي الإلهي في مفهوم التراث، وذكر الموقف الصحيح في هذه المسألة، وتناول الحديث عن بيان قيمة التراث الإسلامي وأهميته وأنه نتاج حضارة كانت مصدر إشعاع وتنوير في العالم كله، ثم تناول أهم خصائص التراث الإسلامي، كما ركز على توضيح الاختلاف المنهجي في قراءة التراث الإسلامي، وذكر بالتفصيل مظاهر الانحراف والخلل في مناهج قراءة التراث الإسلامي، وركز على آليات التعامل مع التراث الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: التراث الإسلامي – قيمة التراث الإسلامي – خصائص التراث الإسلامي – قراءة التراث الإسلامي.

The Islamic Heritage: its Concept - its Characteristics - the Methodological Difference in its Reading

Khaled Mohammed Hamdy Semida
Department of Dawah And Islamic Culture, Faculty of Osoul El-Din And Dawa, Menoufia Branch, Al Azhar University, Egypt.
E-mail: Khalidsemeda1645.el@azhar.edu.eg

Summary:

The researcher began his research by talking about the concept of Islamic heritage, then presented the position on the problem of introducing the texts of divine revelation into the concept of heritage, and mentioned the correct position in this issue, and dealt with the talk about the statement of the value and importance of Islamic heritage and that it is the product of a civilization that was a source of radiation and enlightenment in the whole world, then dealt with The most important characteristics of the Islamic heritage, he also focused on clarifying the methodological difference in the reading of Islamic heritage, and he mentioned in detail the manifestations of deviation and imbalance in the curricula of reading Islamic heritage, and focused on the mechanisms of dealing with Islamic heritage.

Keywords: Islamic heritage - The value of Islamic heritage - Characteristics of Islamic heritage - Reading Islamic heritage.





مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد الأولين والآخرين، الذي أكملَ اللهُ به الدين، وعلى آله وصَحْبِه الغُرّ الميامين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، **أما بعد،،،**

فالتراث الإسلامي تيّار يتدفق في أجيال الأمة الإسلامية على طول تاريخها، يربط بين سلفها وخلَفها، وماضيها وحاضرها، وينقُل للأجيال ثمراتِ قرائحِ الأجداد، بما فيها من علومٍ وآداب، وفنون وأعراف، وقِيَم وأنماط، وسلوك ونُظُمِ مجتمعٍ، إن التراث الإسلامي يربط الأمة بعضها ببعض، ويشدُّ بعضها إلى بعض، لا ينفصل عنها، ولا تنفصل عنه، وما أصاب أمّتَنا من الغزو هو بسبب انقطاعِها عن التراث، ولم يكن انقطاع فقط، بل وصل الأمرُ إلى عداء من أبناء الأمة له واستهانة به.

وقضية التراث الإسلامي وقراءته من القضايا المهمة في عصرنا الحاضر، إذ إنها تتعلق بالناحية الدينية في حياة المسلمين، وكذلك بمسألة نهضتهم الحضارية، ولقد أضحت مسألة قراءة التراث الإسلامي تتردد على الأسماع في الآونة الأخيرة كثيراً، وللأسف دلف[١] إلى ذلك الأمر أناس يفقدون المؤهلات الشرعية لقراءة التراث ودراسته، مما أدى إلى انحراف وخلل في تلك

---

(١) دلف: (الدال واللام والفاء أصلٌ واحد يدلُّ على تقدُّمٍ في رِفق، ودَلَفَ يَدْلِفُ دَلْفاً إذا مشى وقارَب الخَطْو، والدَّلْف: التقدُّم) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، جـ٢ صـ٢٩٧، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

القراءات، ومن ثَمَّ إحداث تشويه للتراث الإسلامي، وبلبلة في فكر أبناء الامة الإسلامية من جهة أخرى، مما يحتم ضرورة النظر في مناهج قراءة هؤلاء؛ لإنقاذ التراث الإسلامي من غاياتهم المشبوهة، وبيان المنهج الصحيح والمعتدل في قراءته، بعيداً عن المؤثرات أو الميل إلى الماضي أو الحاضر، وذلك بعدم التجاهل أو الإلغاء والرفض له، وكذلك بعدم الاندفاع إليه وتقديسه دون تمعُّن، فالدين الإسلامي يتميز بثوابت عقدية ومنهجية تسعف المسلمين في التعامل مع القديم، كما تسعفهم في فهم الواقع واجتراح المستقبل، وإعداد العدة له، وذلك مع الاجتهاد وشحذ البصيرة من أجل إيجاد تناغم بين الماضي والمستقبل، وإظهار نقاط الاتصال بينهما؛ للاستنارة بخبرات الماضين في رؤيتنا للمستقبل وفي تعاملنا مع الأشياء الجديدة.

من هنا تأتي أهمية هذا الموضوع الذي جاء بعنوان: (التراث الإسلامي: مفهومه– خصائصه– الاختلاف المنهجي في قراءته).

أسباب اختيار الموضوع

دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع عدة أسباب، منها ما يلي:

أولاً: بيان مفهوم التراث الإسلامي، وتوضيح إشكالية إدخال نصوص الوحي الإلهي (القرآن والسنة) فيه.

ثانياً: إظهار خصائص التراث الإسلامي وقيمته في البناء عليه للوصول إلى التقدم الحضاري، واستعادة المسلمين مكانتهم.

ثالثاً: استعراض المناهج المختلفة في قراءة التراث الإسلامي ومظاهر الخلل في تلك المناهج.

رابعاً: كشف اللثام عن آليات وضوابط فهم التعامل مع التراث الإسلامي في العصر الحاضر.

الدراسات السابقة

بعد البحث عن دراسات سابقة لموضوع: (التراث الإسلامي: مفهومه – خصائصه – الاختلاف المنهجي في قراءته)، لم أقف على دراسة بهذا العنوان، ففي حدود علم الباحث أن هذا الموضوع لم يسبق أن تناوله الباحثون بالشكل الذي جاء به في هذا البحث.

منهج الدراسة

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي: (الذي يقوم بتحليل المحتوى والتوصل من خلاله إلى النتائج المتصلة بموضوع البحث من قريب أو بعيد)[١].

خطة البحث

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخطة البحث.

- **التمهيد:** مفهوم التراث الإسلامي.
- **المبحث الأول:** إشكالية إدخال نصوص الوحي الإلهي في مفهوم التراث.
- **المبحث الثاني:** قيمة التراث الإسلامي وأهميته.
- **المبحث الثالث:** خصائص التراث الإسلامي.
- **المبحث الرابع:** الاختلاف المنهجي في قراءة التراث الإسلامي.
- **المبحث الخامس:** مظاهر الانحراف الفكري والخلل في مناهج قراءة التراث الإسلامي.

---

(١) البحث العلمي: مفهومه، أدواته، أساليبه، ذوقان عبيدات وآخرون ص٦، طبعة دار مجدلاوي للنشر والتوزيع عمان، الأردن.

- **المبحث السادس:** آليات التعامل مع التراث الإسلامي في العصر الحاضر.
- **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلِّ اللهم على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



(مفهوم التراث الإسلامي)

تعريف التراث في اللغة:

جاء في كتاب (لسان العرب): (والتُّراثُ أَصل التاء فيه واو، والوِرْثُ والإِرْثُ والتُّرَاثُ والمِيراثُ ما وُرِثَ، وقيل: الوِرْث والميراثُ في المال، والإِرْثُ في الحسَب)[1].

وجاء في (معجم مقاييس اللغة): (الواو والراء والثاء: كلمة واحدة هي الورث والميراث أصله الواو، وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب)[2].

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ لفظة التُّراث لفظة عربية، ومعناها المعاصر السائد بيننا الآن له أصل لغوي تستند عليه، فتاء الميراث مبدلة عن واو، فالأصل هو وارث، والوارث ومثله الوَرْث والميراث والإرث ما يخلفه الرجل لورثته، وما يكون لأناس ثم ينتقل إلى آخرين بنسب أو سبب، والأصل في الميراث، ومن ثم التراث أنه: المال والأشياء المادية، ولكنه ليس محصوراً بها، إذ يطلق على الأشياء المعنوية كالثقافة بما فيها الجوانب المعرفية والقيم الإنسانية.

وقد جاء هذان المعنيان – المادي والمعنوي- في الوحي الإلهي (القرآن والسنة)، فمن المعنى المادي ما ورد في قول الله تعالى: ﴿**وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا**

---

(١) جمال الدين ابن منظور، مادة: (ورث)، جـ٢ ص ٢٠٠، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا، جـ٦، ص ١٠٥.

لَمًّا﴾[١] أي ميراث اليتامى، وأصله الوراث من ورثت، فأبدلوا الواو تاء)[٢].

ومن المعنى المعنوي ما ورد في قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**[٣].

فالمقصود هنا وراثة الاعتقاد والإيمان بالكتب المنزلة من قبل القرآن، فالذي أورثه الله لهؤلاء العباد هو الهدى والإيمان وتعاليمه التي تحملها كتب الأنبياء.

ومن هذا المعنى المعنوي ما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﭬ) أَنَّهُ مَرَّ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: "يَا أَهْلَ السُّوقِ، مَا أَعْجَزَكُمْ" قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: "ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يُقْسَمُ، وَأَنْتُمْ هَاهُنَا لَا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيبَكُمْ مِنْهُ" قَالُوا: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: "فِي الْمَسْجِدِ" فَخَرَجُوا سِرَاعًا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا، فَقَالَ لَهُمْ: "مَا لَكُمْ" قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا، فَلَمْ نَرَ فِيهِ شَيْئًا يُقْسَمُ. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: " أَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا؟ "قَالُوا: بَلَى، رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ، وَقَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْمًا يَتَذَاكَرُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: "وَيْحَكُمْ، فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ (ﷺ)"[٤].

---

(١) سورة الفجر الآية: ١٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي جـ٢٠ صـ ٥٣، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

(٣) سورة فاطر من الآية: ٣٢.

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط جـ٢ ص ١١٤، رقم ١٤٢٩، طبعة دار الحرمين، القاهرة. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب "رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن" جـ١ ص ١٤٤، الطبعة الأولى، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

وأبو هريرة (ﷺ) بهذا البيان للميراث تأوّل حديث رسول الله (ﷺ): (إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ)(١).

ويُلاحظ هنا أن الصحابي الجليل أبا هريرة (ﷺ) قد أطلق كلمة الميراث على التراث بمعناه المعنوي- العقدي والثقافي والمعرفي - فلما انطلقوا إلى المسجد لم يجدوا سوى حلق الذكر، وتلاوة القرآن، فبيَّن لهم أبو هريرة (ﷺ): أن هذا هو ميراث النبي محمد (ﷺ).

وهكذا نَخْلُص إلى أن التراث فى لغة العرب بمعنى الميراث، ويطلق على وراثة المال والعقيدة والدين والمجد والحسب.

التراث الإسلامي في الاصطلاح: (هو ما ورثناه عن آبائنا من عقيدة وثقافة وقيم وآداب وفنون وصناعة وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية)(٢).

ويُعرَّف أيضاً بأنه: (مجموعة عطاءات الآباء والأجداد على المستوى الروحي والمادي عَبْر تفاعلهم مع الدين، وضمن خضوعهم لقيود الزمان والمكان اللذين تم الانجاز فيهما)(٣).

والتراث الإسلامي في مجال تحقيق النصوص، هو ما وصل إلينا مكتوباً، في أي علمٍ من العلوم أو فنٍ من الفنون، (ولهذا فالتراث ليس محدداً بتاريخ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه أبواب العلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ، رقم ٢٦٨٢ عن أبي الدرداء جـ٤ صـ٣٤٥ تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م. وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، جـ١ ص١١٢٥.

(٢) التراث والمعاصرة، أكرم ضياء العمري صـ٢٧، سلسلة كتاب الأمة، الطبعة الأولى، شعبان ١٤٠٥هـ.

(٣) من أجل انطلاقة حضارية، عبد الكريم بكار ص ٣٠، الطبعة الرابعة، دار القلم، دمشق، ١٤٣٢-٢٠١١م.

معين، إذ قد يموت أحد العلماء في عصرنا هذا، فيصبح ما خلَّفه مكتوباً تراثاً بالنسبة لنا)[١].

والأولى أن يُقال في تعريف التراث أنه هو: (المنتج البشري المنقول الشفوي والكتابي للأمة الإسلامية قبل مائة عام من الزمان، ولقد حددت مائة عام؛ لما جرى عليه قانون الآثار المصري والعراقي من تعريف الآثار من الموروث قبل مائة عام)[٢].

وهذا التعريف يُخْرِج نصوص الوحي الإلهي من مفهوم التراث، ويشمل ما خلَّفه العلماء من ألف سنة، وكذلك ما خلَّفوه من مائة سنة، فقد يموت أحد العلماء في عصرنا هذا فيصبح ما تركه مكتوبا تراثاً بالنسبة لنا، من غير تحديد بزمن معين، وإنما العبرة برحيل صاحب المنجز العلمي.

فالحدود الزمنية للتراث الإسلامي تتسع لتشمل كل إنتاج فكري، ومنجز علمي وصل إلينا مدوناً مكتوباً أو شفوياً ورحل صاحبه قبل مائة سنة.

(كما يشمل جميع التخصصات الشرعية وغيرها من العلوم المختلفة سواء صدرت عن المسلمين أو غير المسلمين ممن ينتمون إلى الحضارة الإسلامية، ويخرج من التراث (الأعيان) التي تُعَدُّ من الآثار وليس من الأدبيات)[٣].

وعلى هذا فالتراث الإسلامي هو نتاج جهد إنساني إسلامي متواصل قام به العلماء المسلمون وغيرهم، في سائر تخصصات المعرفة وفروعها المختلفة عبر التاريخ، ووصل إلينا مكتوباً أو شفوياً، سواء باللغة العربية أو بغيرها من اللغات.

---

(١) مناهج تحقيق التراث بين القدامي والمحدثين، محمود رمضان ص ٨، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

(٢) كيف نتعامل مع التراث الإسلامي، د. علي جمعة صـ١٩١، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد الخامس، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

(٣) المرجع السابق ص ١٩١.

﴾ المبحث الأول ﴿

(إشكالية إدخال نصوص الوحي الإلهي في مفهوم التراث الإسلامي)

عند الحديث عن التراث الإسلامي يواجه الباحث إشكالية وهي: موقع نصوص الوحي الإلهي (قرآناً وسنة) من التراث الإسلامي، التي تلقيناها عن آبائنا، وتوارثته الأمة عبر الأجيال المتعاقبة، ويطرح سؤال مفاده: هل تخرج نصوص الوحي عن التراث الإسلامي، أم تدخل فيه؟ وإزاء هذه الإشكالية برز موقفان:

الموقف الأول: يُدْخِلُ نصوص الوحي الإلهي في مفهوم التراث الإسلامي، ومن ثم يخلع على التراث صفة القداسة التي هي لنصوص الوحي، ويجعل أي إنتاج علمي ورثناه عن السابقين تراثاً مقدساً لا ينبغي أن نحيد عنه، ولا نظن أن فيه خطأً، أو شيئاً سلبياً، بل كله صواب، وكله إيجابيات، ويخلعون ما للكتاب والسنة من قداسة على الجهد البشري، وهؤلاء يدافعون عن التراث كله على أنه شيء مقدس، لا ينبغي المساس به، ولا يفصلون نصوص الوحي عن الجهد البشري.

فلا يقتصر التراث الإسلامي عندهم على المنجزات الحضارية، بل يشتمل أيضاً على الوحي الإلهي (القرآن والسنة) الذي ورثناه عن أسلافنا.

الموقف الثاني: ينادى بالفصل التام بين نصوص الوحي وبين التراث الإسلامي، ويرى أصحابُ هذا الموقف أن الوحي له خصيصة الإلهية، أما التراث فتُخْلَع عليه صفة البشرية، ولا ينبغي أن نخلط بين البشري والإلهي، (إن

التراث في كل الأحوال عمل أو إنجاز إنساني خالص، وهذا يعني أنه لا مدخل للأمور الإلهية في دائرة التراث)[1].

ويرى أصحاب هذا الموقف أن الذي أَضفى على التراث صفة القداسة – التي هي للوحي الإلهي – هو توهم دخول القرآن والسنة في التراث الإسلامي، وقالوا: من المؤكد أن (علوم القرآن) و(علوم الحديث) وعلم (أصول الدين) وعلم (الفقه وأصوله) وبقية العلوم الدينية، قد عززت هذا التوهم، لأن القرآن ليس هو علوم القرآن، ولأن علم أصول الدين أو الفقه أو أصول الفقه ليست هي الدين نفسه، فهذه العلوم ليست وحياً، وإنما كلام تاريخي على الوحي، أما الوحي فهو الإلهي المجاوز للتاريخ، لذلك فتلك العلوم تراث، أما الوحي الإلهي فليس بتراث.

بيد أنه لا ينبغي وضع القرآن والسنة موضع النصوص المقدسة البعيدة عن البشر بما يعنى جمودها.

وعلى هذا يتبين أن الموقف الصحيح هو: أن يكون الوحي ممايزاً للتراث الإسلامي، وخارجاً عن دائرته، بحيث ينحصر مصطلح التراث الإسلامي فيما أنتجه الأجداد، وهذا ينفي عن التراث أي قداسة، ويجعله محلاً للنقد والانتقاء، والربط بالظروف التي أسهمت في إنتاجه وإبداعه، فلابد من الفصل بين الإسلام من حيث هو وحي إلهي، وبين الإسلام من حيث هو تراث وحضارة ومنجز بشري أبدعته الجهود الفكرية للأمة الإسلامية في المجالات المعنوية والمادية، خلال العصور المتعاقبة، ويجوز عليها – بحكم بشريتها – الصواب والخطأ، وأن تعتريها الإيجابات والسلبيات.

---

(١) نظرية التراث، فهمي جدعان ص١٧، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٥م.

فالوحى الإلهى لا يقبل الانتقاء والاختيار منه، أو محاولة تطويعه للواقع، أو التفكير فى توظيفه لتحقيق مصالح خاصة أو عامة، أو القول إنه لا يصلح لهذا الزمان أو ذاك، بل هو إطار حاكم على الحياة، وضابط لها، وفي الوقت نفسه يترك لها المجال للحركة والتطور وفق معايير منضبطة، فإذا انفلتت الحياة خارج الإطار الذي وضعه لها الوحي الإلهي، فقد وقع الانحراف، ولابد من التقويم وفق ضوابط نصوص الوحي الإلهي.

أما المنجزات البشرية الحضارية، فإنها قابلة للانتخاب والتوظيف وفق الرؤية المعاصرة، وظروف الزمان والمكان، وتغير الوقائع والأحداث، (وشتان بين التعامل مع الأشياء المحددة الساكنة، والتعامل مع (الحياة) المتحركة المتخصصة، التي لا تكف عن التدفق والنمو والتجدد والإبداع، إننا في الحالة الأولى نبحث ونكتشف ونحمي ونصون ونستمتع، وأما في الحالة الثانية فنتحرك ونتفاعل ونبدع ونتجدد ونستمر ونمضي قدماً في حوار متناغم هادف بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا)[١].

وعلى هذا: فنصوص الوحي (القران والسنة) تسموا وترتفع على التراث، وهي قَيِّمةٌ وحاكمةٌ عليه، والتراث الإسلامي ينطلق منها وينضبط بها، وهي الإطار الذي يجب أن نرجع إليه ونحتكم في كل قضايا التراث الإسلامي.

ولا ينبغي الخلط والتعميم في وصف التراث الإسلامي بين ما هو إنساني بشري وفكر إنساني، وما هو وحي منزل ودين إلهي، ولم يُعْطِ المسلمون تراثهم ولا تاريخهم قداسة معينة، ولكن جعلوه ضوءً كاشفاً أمام الأحداث.

---

(١) موقف إزاء التراث، عماد الدين خليل، ص٤٧، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩) مارس ١٩٧٧م.

إن هناك خلطا خطيراً يقع في التراث الإسلامي، عن قصد أو عن غير قصد، وهو اعتبار الوحي جزءً من التراث الإسلامي، فيخضعونه للنقد والتقييم، كما يخضعون التراث البشري لذلك.

فلا يجوز بحال الخلط بين الوحي الرباني وبين النتاج البشري، فلكل خصائصه ومعالمه ومقوماته الذاتية.

ويأتي التأكيد على هذا من مشكلة أساسية وهي: (أن عامة الاتجاهات الفكرية العربية المعاصرة، المتأثرة أو التابعة لاتجاهات الفكر الأوربي تنطلق من قواعد ومناهج البحث الأوربي، التي لا تسلم بقضية الوحي، وتنظر إلى القرآن أنه إبداع إنساني أتى به محمد (ﷺ))[1].

لذلك نجد عند هؤلاء فجاجة في الأسلوب حين الحديث عن نصوص الوحي الإلهي، وهذا ناتج عن تلك الروح الأوربية التي تأثروا بها، فهم لا يفرقون بين الدين وبقية الإرث الحضاري، بل يُسوون بين التراث الذي مصدره الإنسان المخلوق، وبين التراث الذي مصدره الإله الخالق، فيخضعون التراث – دون تفرقة بين ما هو وحي وبين ما هو بشري– للنقد والانتقاء والقبول والرفض.

وفي الطرف الآخر نجد أصحابَ الغلو، وجماعات التطرف تُضفي صفة القداسة على الإنتاج البشري، وتعطيه ما لنصوص الوحي الإلهي.

وإذا أردنا الاعتدال فلابد أن ننأى بالوحي الإلهي عن إدخاله في مفهوم التراث الإسلامي؛ لسيطرة الثقافة الغربية في وقتنا هذا والتي لا يحمل مصطلح التراث في لغتها دلالة التقديس في العصر الحاضر، كما هو الحال عند المتأثرين بالثقافة الغربية، وكذلك حتى لا نعطي للمنجزات البشرية صفة القداسة، والإلزامية التطبيق في كل عصر، كما هو الحالة عند جماعات الغلو.

---

(١) الغارة على التراث، جمال سلطان ص٢٥، الطبعة الأولى، مكتبة السنة، الدار السلفية للنشر العلمي، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.

خلاصة القول: لا بد من التفرقة بين نوعين: الأول: نصوص سماوية أو وحي إلهي بالمفهوم العام للوحي ممثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وهذا النوع لا يصح بأي حال التلاعب به زيادة أو نقصا أو تبديلا، أو إخضاعه لعملية النقد البشري، أما النوع الآخر فيتمثل في الاجتهادات البشرية في فهم هذه النصوص وتطبيقها على الواقع، وهذا موروث تاريخي يمكن الانتفاع به، بل الانطلاق منه إلى تحقيق نهضة الأمة إذا أحسن أبناؤها البناء عليه.

والعلوم الإسلامية مقترنة بالزمان والظروف والأوضاع التي ظهرت فيها، فقد تصلح لوقت ولا تصلح لآخر، وتتماشى مع ظرف ولا تكون كذلك في الظروف الأخرى، أما الوحي فصالح لكل زمان ومكان، وتطبيقه متاح في كل الظروف والأوضاع.

لذا: فنحن مع القول بأن نصوص الوحي لا تدخل في مفهوم التراث الإسلامي، لأنها ليست من إنتاج الآباء، ولا من معطيات التاريخ، وتعاملنا معها يختلف تماماً عن تعاملنا مع التراث؛ إذ نمتثل لما جاء فيها من قطعيات، ونجتهد في الظنيات، وفق أصول وضوابط اجتهادية معروفة، أما التراث فإننا نحكم عليه بنفس المعايير التي نحكم بها على الواقع، بمعنى أننا نملك تقويمه، من خلال المنهج الرباني المحفوظ من التغيير والتبديل–وذلك بحفظ الله له– مع الاستعانة بأقوال السلف، وما تراكم من خبرات متنوعة، وحتى لا تتحول الاجتهادات العقلية إلى أصول ثابته تحسب على الوحي المعصوم، فتُسلب حرية مراجعتها.

﴿ المبحث الثاني ﴾

(قيمة التراث الإسلامي ومكوناته)

إذا كان الوحي الإلهي لا يرتبط بزمان، وليس حصيلة الزمان والمكان، وإذا كان النتاج البشري ليس له قداسة إلا أنه لا يصلح لأحد أن يتجاوز ما أنتجه الآباء والأجداد في مجال العلوم الشرعية، وغيره من المجالات الإسلامية والعربية، لكن المطلوب منا فهم مناهجهم التي استنبطوا منها فهمهم، وعدم الوقوف عند مسائلهم التي نتجت عن هذا المنهج.

فلسنا ملزمين باتباعهم في كل شيء، لا سيما فيما يتصل بتطور الحياة، وتغيرات أنماطها وملابساتها، لكن مع هذا وقبله وبعده فإن لهم مكانة ومنزلة، فقد كانوا أناساً يحملون قيم الإسلام ومُثُلَه العليا، وأخلاقياته السامية، يحترمون عقول الناس ولا يريدون السيطرة عليها، ولا فرض آرائهم، حتى إن الإمام مالك بن أنس (رحمه الله)[1] رفض أن يلبي ما طلبه منه أمير المؤمنين (أبو جعفر المنصور)[2] لجعل كتابه (الموطأ) سائداً في الأقطار الإسلامية وأن يلتزم به الجميع.

---

(١) الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث ابن عمرو بن ذي أصبح الأصبحي المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام، وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين للهجرة، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة (رضي الله عنه)، فعاش أربعاً وثمانين سنة، ودفن بالبقيع). وفيات الأعيان، ابن خلكان، جـ٤ ص١٣٥، طبعة دار صادر، بيروت.

(٢) عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، كان عارفا بالفقه والأدب، مقدما في الفلسفة والفلك، محبا للعلماء، ولد في الحميمة (قرب معان) وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ، وهو باني مدينة=

كما أن هؤلاء الذين تركوا لنا التراث الإسلامي أعلنوا في غير ما موقف أن كلامهم غير مقدس، وأنه يؤخذ منه ويرد.

وتتجلى قيمة التراث الإسلامي في أن جزءاً مهمًّاً منه هو نتاج حضارة كانت مصدر إشعاع وتنوير في العالم كله، ولا زالت تحمل في طياتها من عوامل النهوض الشيء الكثير، فالتراث الإسلامي في مجمله دافع للتقدم والرقي، وإن كان لا يخلو من أفكار وأقوال تعطل ركب الحضارة، إلا أن ذلك صفة قد توجد في تراث أي أمة من الأمم، فلا غنى عن تراثنا الإسلامي بحال، (لأن تراثنا هو وجودنا، ولا توجد أمة تزعم أنها أمة ذات حضور إنساني متميز، دون أن يكون لها تراثها الخالد والفاعل والمتميز في التاريخ)[1].

فتراثنا ثروة حضارية، ومصدر عز للأمة الإسلامية، ودليل تميزها وتفردها، الذي أَمَدَّ الإنسانية عبر العصور بشتَّى ألوان الإبداع الإنساني، فالحضارة الأوربية ما كان لها أن ترقى إلا بالإفادة من تراثنا، والبناء على ما فيه، (ولقد أفاد الغربيون كثيراً من هذا التراث الضخم، وضموا ثمرات ذلك التراث إلى أعمالهم، وحجبوه عن المسلمين، وما سمحوا بنشر شيء إلا تلك

=(بغداد) أمر بتخطيطها سنة ١٤٥هـ، وجعلها دار ملكه، وفي أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، وهو والد الخلفاء العباسيين جميعا، توفي ببئر ميمون (من أرض مكة) محرما بالحج، ودفن في الحجون (بمكة) ومدة خلافته ٢٢ عاماً. الأعلام، الزركلي، جـ٤، ص١١٧، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

(١) الغارة على التراث، جمال سلطان ص ١٥٤.

الكتب المضطربة التي كتبها المتابعون للفلسفات اليونانية، والفكر الباطني، وكتب أمثال (الأغاني)[1]، و(ألف ليلة وليلة)[2]، وغيرها)[3].

قلت: وهذا دأبهم والحقيقة شاهدة عليهم، ففي فترة العصور المظلمة (العصور الوسطى) كانت أوربا تعيش حالة من التخبط والجهل، في حين كانت الحضارة الإسلامية في قمة توهجها وتألقها، وكانت النهضة الحقيقية التي غيرت مجرى الحياة في أوربا على أيادي علماء المسلمين، الذي ظهروا في هذه الآونة من تاريخ الغرب، وشكلوا بعد ذلك حركة النهضة والتطور الحقيقي لهم، ومع هذا حاول الغربيون حجب هذه الحقيقة، لكن ما تركه العلماء المسلمون من اكتشافات باق ما بقي الزمان.

وإذا كان الغرب عرف قيمة هذ التراث الإسلامي وأفاد منه، باستخلاص معطياته والانتفاع بها، فالمسلمون أولى بذلك وأحق، فإنه لا غنى لأي مسلم

---

(١) كتاب الأغاني من أغنى الموسوعات الأدبية التي أُلفت في القرن الرابع الهجري، وهو مؤلَّف ضخم، ألفه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى عام ٣٥٦هـ، ومادته تقوم على جمع المؤلِّف للأغاني المتميزة في عصره والعصور السابقة، وهو مصدر هام في تراجم الشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر العباسي). الموسوعة العربية العالمية- مجموعة من العلماء والباحثين جـ٢ ص٣١١ بتصرف، الطبعة الثانية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٢) مجموعة من الحكايات التي روتها شخصية تُسمى شهرزاد للسلطان شهريار، وقد كُتبت بلغة أقرب للعامية ومسجوعة أحياناً، وتتجه بخطابها القصصي إلى الإنسان العادي، ولم تتقيد بقواعد النحو العربي، ولم يُعرف لها مؤلف، وتشيع فيها أجواء العجائب وعوالم الغرائب) الموسوعة العربية العالمية جـ٢ ص٥٦٩ بتصرف.

(٣) إعادة النظر في كتابات العصريين، أنور الجندي ص٢٥٦، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع.

اليوم عن التراث الفقهي – على سبيل المثال – في تصحيح عباداته ومعاملاته، إذ إنه يغطي معظم حاجاتنا المعاصرة في هذا المجال الفقهي، بما أنجزه أسلافنا مما كان موضع الإعجاب والفخر.

ويمكن تلخيص قيمة التراث الإسلامي وأهميته فيما يلي:

– يُعدُّ التراث الإسلامي ركناً أساساً وفاعلاً في ثقافة الأمة الإسلامية.

– يمثل التراث للأمة الإسلامية خزانة الخبرات والعبر التي يجب عليها الاستبصار بها في تعاملها مع حاضرها ومستقبلها.

– التراث الإسلامي محرك ودافع للأمة الإسلامية نحو نهضتها، واستعادة مكانتها، وقيادة ركب الإنسانية كما قادتها من قبل.

– إحياء التراث يُوجِد جسوراً من التواصل بين الجيل الحاضر وبين الأجيال التالية؛ فيجعل بناء الأمة متماسكاً ومتناسقا كل حلقة فيه تفضي لما يليها، وينتج عن هذا الترابط في بناء الأمة حمايتها من محاولات الاختراق والهدم، ويمنحها حصانة ذاتية تحول بينها وبين أية عملية تسلل غريبة تفسد كيان الأمة أو تمزق روابطها.

ومن قيمة التراث أنه مستودع لتجارب الأمم، وبه يُعرف كيفية مواجهة الأمة للأزمات الداخلية، وصراعاتها مع الأعداء الخارجيين، وبذلك تأخذ من التراث الدروس التاريخية البالغة الأهمية للأجيال المعاصرة، وكيفية مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

ومع هذه القيمة للتراث الإسلامي إلا أنه ليس فيه الحلول الجاهرة والسريعة لمشكلاتنا الحالية، وإنما فيه الأصول الهادية إلى ذلك، شريطة أن تفهمه الأمة الإسلامية، وتتفاعل معه (ويجب أن نكون على بيِّنة من أن عظمة تراثنا لن

تنقذنا من الشعور بالدونية وبالتهميش الحضاري، إذا لم تكن لنا مشاركة فاعلة في بناء حضارة عصرنا)[1].

إن أي محاولة لقطع حاضر الأمة الثقافي والحضاري عن ماضيها وموروثها الثقافي، لا يؤدي إلا إلى المزيد من ظهور الكيانات الاجتماعية المشبوهة، والتي لا تقدر على تقديم أي شيء يذكر على المستوى الحضاري، فلابد إذن من ربط التراث بالواقع، وفي الوقت نفسه عدم الانغلاق على ماضينا.

(١) تجديد الوعي، عبد الكريم بكار ص ١٥٧، الطبعة الأولى، دار القلم دمشق ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

﴾ المبحث الثالث ﴿

(خصائص التراث الإسلامي)

يتميز التراث الإسلامي وينفرد بخصائص تميزه عن غيره من تراث الأمم الأخرى كالتراث الأوربي على سبيل المثال، ومن أبرز تلك الخصائص ما يلي:

الخصيصة الأولى: الربانية

التراث الإسلامي مع أنه فكر بشري، ومنجز إنساني، إلا أنه يتميز باتصال منابعه الأولى بالوحي الإلهي الذي تكفل الله بحفظه، لذا جاء النتاج الإنساني لهذا التراث متميزاً بهذه الخصيصة الربانية، التي جعلته غير قابل للموات التاريخي، (إنّ أمتنا العربية ذات تراث واحد روحي وعقلي وأدبي، ونور تراثها الروحي الباهر هو القرآن الكريم المعجزة التي ليس لها سابقة ولا لاحقة في تاريخ الحياة الروحية الإنسانية، نور يهدي الإنسان إلى سواء السبيل، بما شرع القرآن له من قيمٍ روحية خالصة، ترسم له أصول عقيدة إلهية رفيعة، وعبادات وفضائل تطهر نفسه وتزكي قلبه، وقيمٍ عقلية تخلصه من السحر والكهانة والخرافة، وتُعِدُه للعلم والمعرفة والانتفاع بالحياة، وقيمٍ اجتماعية تدفعه إلى العدالة والمساواة بينه وبين أفراد الأمة في الحقوق والواجبات)[1].

فالوحي أصل للتراث الإسلامي، وهذه ميزة يتميز بها وينفرد، إذ هناك ثقافات ليس لها مبدأ في الوحي، أما الإسلام فالوحي أصل للتراث، وعلى هذا ليس لدينا أي علم من العلوم التي ظهرت في تاريخ الإسلام إلا وللوحي أثر ما فيه، فالعلوم الإسلامية كانت أثراً مباشراً له، ومهمتها خدمته وتجليته وبيانه.

---

(١) سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية، شوقي ضيف، ص١٠٠، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.

الخصيصة الثانية: الشمول والاستقلال

التراث الإسلامي يتميز بشموله وتنوعه واتساع دائرته بحيث لا يقف عند حد معين من العلوم والفنون والمعارف، لذا جاء ثرياً يضم بين جنباته عطاءً فكرياً موفوراً، ونتاجاً ضخماً خلَّفه الآباء والأجداد في شتى علوم الدين والدنيا. فالتراث الإسلامي يشتمل على علوم شتى شرعية وطبيعية وأدبية وغيرها، ولما كان التصنيف في العلوم محصوراً في دوائر ثلاث كبرى، وهي: دائرة علوم الغايات، ودائرة علوم الآلات، ودائرة علوم الحكمة، فإن التراث الإسلامي لم يُغْفِل أي دائرة من هذه الدوائر، (إن علوم الغايات هي علوم الشريعة، وعلوم الآلات تساعد على فهم علوم الغايات، واستنباط الأحكام، وتمكن صاحب علم الغايات من إنتاج معرفته في علوم الغايات، كما لا استغناء عن علوم الحكمة، والحضارة الإسلامية أنتجت تراثاً علميا طيباً في هذه العلوم)[1].

ثمَّ إن التراث الإسلامي ليس تابعاً لأي نتاج حضاري آخر، وإنما هو مهيمن على مسارات الحركة الإنسانية في كل الميادين لقرون متطاولة، فهو غير قابل للتهميش، حتى وإن أتت فترة على الأمة الإسلامية تأخرت فيها عن ركب التقدم الحضاري، إلا أن التمسك بالتراث يدفعها للعودة للاستقلالية مرة أخرى.

(إنه ميراث منظومة حضارية صدرت عن إرادة إنسانية واعية، ومنهجية متكاملة مضبوطة وراشدة، فهو غير قابل للذوبان في أي منظومة حضارية أخرى)[2].

فهو تراث مستقل حتى حال تفاعله مع متغيرات الحياة، أخذاً وعطاءً، فلا يفقد استقلاليته وتميزه، لأن جذوره تنبض بالقوة في مختلف المجالات، ولا يختلط بغيره، ولا يذوب في غيره، وله مصطلحاته التي تميزه.

---

(١) مدخل إلى التراث العربي والإسلامي، خالد فهمي ص٣٢، الطبعة، الأولى مركز تراث للبحوث والدراسات، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٦م.

(٢) الغارة على التراث، جمال سلطان ص ٥١.

الخصيصة الثالثة: احترام العقل

التراث الإسلامي يحترم العقل الإنساني، وذلك بأنه يحرص على ذكر الدليل، فاستصحاب الدليل – بأنواعه المختلفة – داخلٌ في كل الفروع المعرفية التي يشتمل عليها التراث، وذلك طلباً لتحقيق الحجية للقضايا التي يطرحها ويناقشها. ومن الأمثلة على ذلك: أن في علم اللغة نجد الشاهد النحوي واللغوي، وفي علم الفقه الدليل النقلي، وفي أصول الفقه الأدلة العقلية، وفي علم العقيدة الدليل النقلي والعقلي معاً، وهذا من شأنه أن يخرِّج جيلاً من البشر لا يُسلِّم لأي نظرية معرفية ما لم تكن مصحوبة بالدليل، ومستندة على الحجة والبرهان، ومع هذا الاستصحاب للأدلة فهو قابل للأخذ والرد، لأنه نتاج بشري زمني.

الخصيصة الرابعة: عالمي وممتد عبر الزمان

التراث الإسلامي عالمي، يشمل العربي والفارسي والتركي والهندي وغيرها، فكل ما خلَّفه الحكماء والمفكرون والعلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء والمؤرخون والمصنفون في شتى حقول المعارف الإسلامية، وفي كل أدوار التاريخ الإسلامي يعد تراثاً فكرياً وثقافياً وعلمياً.

كما أنه لا يوجد تراث مكتوب على وجه الأرض يشغل المسافة الزمانية التي شغلها التراث الإسلامي، إنه تراث ممتد موصول من الناحية التاريخية، ويشمل ثلاثة عشر قرنا من الزمان، ولم يشهد انقطاعاً في أي جيل من أجيال هذه الأمة، فلم يخلو زمان من أزمنة التاريخ الإسلامي من علماء أثروا الحياة العلمية بإسهامات عديدة في شتى فروع المعرفة الإسلامية على فترات متعاقبة من الزمن، كلٌ حسب اهتماماته، سواء كانت علمية تطبيقية أو دينية أو لغوية أو فلسفية أو اجتماعية، فقد شارك في إبداع هذا التراث وإيجاده عقليات متباينة في مكانها وزمانها ومنهجها.

﴿ المبحث الرابع ﴾

(الاختلاف المنهجي في قراءة التراث الإسلامي)

تتعدد الرؤى وتختلف المواقف عند قراءة التراث الإسلامي، فالمفكرون الدارسون للتراث الإسلامي مختلفون في منازعهم الفكرية وتوجهاتهم، وأيضا متباينون في مرجعياتهم ومنهجياتهم التي يسلكونها في دراساتهم، وبناء على هذا سيختلفون في قراءته.

وفي الآونة الأخيرة ظهر الاهتمام بقراءة التراث الإسلامي، وظهر من المناهج من يقدس التراث الإسلامي، ومنها من يدنسه، وتعالت الصيحات ما بين داعٍ لتجاوزه بالكلية واعتباره جزءً من الماضي لا يجوز استدعاؤه لحاضر مختلف ومتغير، وبين مستغرقٍ فيه، مفتون به.

وقد تعرَّض التراث الإسلامي لتحريف وتزييف كثير خلال مراحل التاريخ الإسلامي، وذلك بسبب اختلاف مناهج النظر والتلقي في قراءة التراث، فكلٌ يقرأ التراث الإسلامي حسب مشاربه ومرجعيته الفكرية، ومن هذه المناهج ما يلي:

أولا: المفتونون بالتراث

وهؤلاء جيل من المقلدة أُصيبوا بداء الغلو في تمجيد التراث الإسلامي، لأنهم عجزوا عن النقد والإبداع، فيعيشون على أمجاد الماضي، ولا يعرفون إلا تقديسه، فكانت النتيجة تعطيل حركة الإبداع والنظر والاجتهاد، وأغلفوا باب التجديد والاجتهاد أمام المتأخرين، ورسخ في عقولهم أنه ما ترك الأول للآخر شيئاً.

وهؤلاء الذائبون في التراث يمثلهم قومٌ من الجامدين من مقلدة المذاهب، الذين عكفوا على المتون والحواشي، وكأنها وحي منزل، فما كان منهم غير التعصب المذهبي، والجمود والتقليد، وأتى بعد هؤلاء قوم (ترى منهم حرصاً شديداً على نشر الكتب التراثية، مهما تكن قيمتها العلمية، ومهما تكن حاجتنا إليها، وإلى جانب الحرص على نشر الغث والسمين، ترى عندهم خوفاً من أي قراءة للتراث تنتهي بهم إلى مقولات تخالف ما انطبع في عقولهم، ثم إنهم لا يرون في الحاضر إلا الانتكاس والتقهقر، وهذا يحرمهم من الانفتاح على معطيات زمانهم وما فيه من إيجابيات)(١).

وهؤلاء تجاهلوا أو تناسوا أن التراث إنتاج بشري تظهر فيه كل اجتهادات البشر، ومن الطبيعي أن يكون فيه وقتئذٍ ما ينفع وما يضر، فبعض كتب التراث الإسلامي لم ينتفع به الناس في زمان تأليفه؛ نظراً لضعفه وقصوره، أو لعدم حاجة الناس إليه، (ويمكن القول أن في كتب التراث الكثير مما يشوه عقلية الناس لو اطلعوا عليه، إما لأنه كان اجتهاداً بعيداً عن القواعد المعترف بها، وإما لأنه يحكي ضروباً من الخرافة والزيغ)(٢).

فهناك كتبٌ تراثية أُلِّفت في السحر والتنجيم، وأخرى تَعِجُّ بالأخبار الموضوعة والروايات المصنوعة.

إن التغني بأمجاد الماضي، والافتتان به، من أسباب السلبية في التعامل مع الحاضر، وبسبب هؤلاء المقلدين لآراء الرجال شاع فكرُ الخرافة بين الناس، والتسليم بالأوهام والأساطير، وتعطيل نعمة النظر في سنن الله في الكون والشرع.

---

(١) تجديد الوعي، عبد الكريم بكار ص ١٥٤.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

لذا: فإن نَشْر كل ما هبَّ ودبَّ من التراث والاحتفاء به يعطي للتراث مكانة تخرجه عن حدود الزمان والمكان، وهذا خلطٌ بين خصوصياته، وخصوصيات الوحي، فيضفون مميزات الوحي على النتاج الإنساني؛ بإعطاء هذا النتاج صفة القداسة والعصمة.

وهؤلاء في العصر الحديث يرفضون كل ما يأتي من الثقافة الغربية، ويعتبرونه فساداً مطلقاً دون ضبط أو تفصيل لما يتفق مع أصولنا أو يختلف، مكتفين بتراثنا عما سواه حتى لو كان نافعاً.

وهذه الطريقة الظاهرية العاجزة عن فهم التراث جعلت منه وسيلة لجمود وتخلف الأمة الإسلامية، وعجزت عن حل مشكلات العصر، أو استيعاب مستجداته، وضَيَّقت الإسلام وجعلته يظهر جامداً عاجزاً عن معالجة أية مشكلات، أو استيعاب أية مستجدات، وبالتالي – كما يريدون إظهاره – فقد صلاحيته لكل زمان ومكان، وهذا ما أعطي الحداثيين والعلمانيين بل واللادينين فرصة للنظر إلى التراث الإسلامي كله – بما فيه القرآن والسنة – على أنه يمكن الاستغناء عنه لعدم مناسبته مع عصرنا، ومن ثَمَّ أداروا ظهورهم لكل هذا الموروث.

لقد اتسمت قراءة هؤلاء الممجدون للتراث بأسلوب المديح المستمر، والتبجيل لكل ما هو ماض وموروث، في حين غاب النقد والتحليل والمراجعة.

وهذا التفكير القائم على تمجيد الماضي يختزل القضية، ويجعل التراث بظرفه التاريخي حاكماً على عصر غير عصره، وناس غير أناسه، مما يترتب عليه كثير من المشكلات، وبأمثال هؤلاء الجامدين يُشَوَّه التراث الإسلامي، بل والإسلام ذاته.

ثانيا: دعاة الحداثة

الحداثة فكر غربي انتقل إلى بلاد المسلمين وصارت له أعلام مرفوعة، وأفكار مُذاعة، وقد تولى كِبَر هذا الفكر أناس من بني جلدتنا باعوا دينهم وأمتهم بثمن بخس، وصاروا أبواقاً للغرب ينشرون أفكاره، وينقلون سمومه.

والحداثة بمعناها الغربي، هي (التنوير الأوربي الوضعي العلماني التي تأسست عليها ثقافة عصر النهضة الأوربية الحديثة، والتي أقامت قطيعة معرفية مع الموروث الديني اللاهوتي، وأسست معالمها على الفلسفة الإغريقية والقانون الروماني)[(١)].

فالحداثة بهذا المفهوم لا تعني إقامة ما انهدم من المفاهيم الإسلامية، ولا إحياء ما اندثر من ثوابت الدين، بل هو التخلص من الماضي بكل ما يحتويه من أصول وثوابت، والانطلاق في تجرد عن الدين بكل مكوناته.

هؤلاء الحداثيون يرفضون التراث الإسلامي رفضاً تاماً، ويعتبرونه عائقاً من الانطلاق مع الحياة المتجددة، وأنه سبب للتخلف والتأخر، وقد أعانهم على ذلك ما وصلت إليه تلك الحضارة من تقدُّم ملموس في شتي جوانب الحياة المادية، حيث إنها وفَّرت للبشر الجهد والوقت، أما الناحية الروحية في تلك الحضارة فقد تم تجاهلها، لما في الإعلان عنها من تشويش لما يراد بثه في نفوس المسلمين، وهو تزيين الحضارة الغربية.

وهم في ذلك يحوطهم الانبهار بالثقافة الغربية، التي لا تكترث بالأديان، أو الالتزام الأخلاقي بأي قيم ثابتة، لأنها تؤله العقل، وتفصل بين الدين والدولة، فظهرت كتابات هؤلاء معادية للتراث الإسلامي.

---

(١) الإسلام والتحديات المعاصرة، محمد عمارة ص ٨٥، الطبعة الرابعة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٩م.

والسمة البارزة في قراءة هؤلاء للتراث الإسلامي أنهم يقرؤونه قراءة أوربية النزعة، فهم لا يرون فيه إلا ما يراه الأوربي الغربي، فهي قراءة استشراقية، والتبعية للمناهج الغربية واضحة في هذا المنهج، وهذا النوع من القراءة للتراث الإسلامي يريد تخريبه واختراقه من داخله، وذلك بقياس التراث الإسلامي وإعطائه ما للتراث الأوربي من خصوصيات، وهذا منهج يتجاهل تميز التراث الإسلامي عن غيره، وانفراده بخصائص لا توجد في غيره من تراث الأمم الأخرى.

وهؤلاء الذين يقيسون التراث الإسلامي بالتراث الأوربي إنما يقارنون بين شيئين مختلفين، فليس التراث الغربي كالتراث الإسلامي، (فالتراث الأوربي الغربي كان مجموعة من تفسيرات رجال الدين ومن وثنية اليونان ومظالم القانون الروماني، أما بالنسبة للمسلمين فقد عرفوا منهجاً ربانياً أصيلاً، لم يعتوره الاضطراب أو الانحراف أو الفساد لحظة واحدة)[1].

وليس من المنطقي أن نطبق الحداثة الغربية في قراءتنا لتراثنا الإسلامي، لأن هذا يصل بنا إلى القطيعة معه؛ وهذا ما انتهجه الحداثيون حين قرأوا التراث من خلال منهجية الغرب الأوربي، (فنظروا إلى التقدم الأوربي في جميع المجالات، لا سيما الاختراعات العلمية والإلكترونية، ولما لم يتحقق هذا التقدم في العالم العربي، لم يجدوا تفسيراً لذلك إلا القصور في التراث، فأصبح التراث هو القيد الذي يحرم الوعي من الانطلاق والتقدم، وأصبحت الثورة على التراث وإبعاده عن مناحي الحياة، شرط التقدم وأساسه)[2].

---

(١) إعادة النظر في كتابات العصريين، أنور الجندي ص ٢٥٥.

(٢) اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، برهان غليون ص١٩٤، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

إن الغرب استوعب تراثه مع أنه ليس موطن عز وفخر، وابتكر ما هو أرقى منه، بينما نحن لم نستوعب تراثنا، ولم نحاول اكتشافه والتعرف عليه، مع أنه موطن الفخر والعز والمجد، لذا لم نصل إلى ما هو أفضل، فالأمر مختلف بين تراثنا وتراث غيرنا.

لذا؛ فالحداثيون ومن لفَّ لفَّهم يقذفون الإسلام بأنه دين لا يساير التطور، ويرفض الجديد مستمسكاً بالقديم، ولا يحث أتباعه على المرونة، إنما يأمرهم بالجمود، وأن المسلمين إن راموا التقدم، والحضارة فما عليهم إلا أن يطرحوا الإسلام جانبا، أو يُبْقُوا على تعاليمه خاوية من مضمونها، مفرغة من غاياتها، فينادون بالانفتاح الثقافي والحضاري على الغرب في شتي الدروب بلا تحفظ، بحجة (التحديث) أو (العصرية) أو (التقدم) أو (التجديد).

(إن الدعوة إلى الانفتاح على الفكر العالمي هي دعوة إسلامية صحيحة وأصيلة وقائمة منذ فجر الإسلام، ولكن بضوابطها وحدودها وأساليبها التي تحفظ الذاتية، وتحول دون انهيارها وانصهارها في الفكر الوافد)[(١)].

فلابد من وجود ضوابط منهجية للانفتاح على الثقافات العالمية المعاصرة؛ لمواجهة خططها البشعة.

ثالثا: المجترئون على التراث

لقد أصبح الاهتمام بالتراث الإسلامي – في الآونة الأخيرة – مرتعاً خصباً لكل من أراد الظهور المادي أو الأدبي، فظهر في وسائل الإعلام من يدَّعي معرفة به، ووصلا بكتبه، فصار يُفسّر نتاج التراث الإسلامي أناسٌ يفقدون المؤهلات الشرعية لدراسته أو قراءته؛ مما يجعلهم ينحرفون به إلى غايات

---

(١) المعاصرة في إطار الأصالة، أنور الجندي ص٨٣، بتصرف، الطبعة الأولي، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٧هـــ.

تشوه صورته من جهة، وتُبَلْبِل فِكْر الأمة من جهة أخرى، مما يدعو إلى الاهتمام به وإنقاذه من أيدي هؤلاء المجترئين عليه.

لقد وُجِدَ من يتحدث عن التراث الإسلامي ليس بوصفه نتاجاً بشرياً لإسلافنا من علماء المسلمين، وإنما بوصفه هو الإسلام ذاته، وأظهروا القرآن والسنة (الوحي) في صورة التراث الإنساني، ثم بدأوا يوجهون لهما ما من الممكن أن يوجه للنتاج البشري.

إننا نجد من أبناء جلدتنا من نظر إلى التراث نظرة ازدراء، وقد أفرغ جهده في نقده، وتسفيه السلف والقديم، وهؤلاء يريدون الوصول إلى منافع خاصة من أي باب، وبدأ يُرَوَّج لهؤلاء في وسائل الإعلام تحت مسميات برَّاقة، فيطلق على معظمهم وصف (المفكر الإسلامي) ويبثون سمومهم تحت شعار الفكر الإسلامي المستنير، وكل هذا تضليل للعقل المسلم، وتلبيس على عوام المسلمين، ويستخدم هؤلاء الموصوفون بتلك الأوصاف أساليب الخداع والمكر، ومصطلحات برَّاقة كالتطور، وروح العصر والتجديد، وكلها محاولات لإسقاط التراث، وسلبه دوره الحقيقي، فيصفون التراث الإسلامي بأنه قديم ومضطرب، ولابد من الابتكار ومسايرة روح العصر، وقد ركَّز هؤلاء في قراءة التراث الإسلامي على مصادر مثل: كتاب (ألف ليلة وليلة)، وكتاب (الأغاني)، وأشعار أبي نواس[١] وغيرها من كتب المُجَّان التي لا يُعْتَمد عليها في النظر

---

(١) أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح (١٤٦ – ١٩٨هـ) المعروف بأبي نواس الحكمي شاعر العراق في عصره، ولد في الأهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها. قال الإمام الشافعيّ: لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم. الأعلام، الزركلي، جـ٢، ص٢٢٥.

والاستدلال، وأظهروها على أنها هي التراث الإسلامي ليفسدوا به عقليات ومفاهيم الأجيال القادمة،(فهدفهم تشويه رؤية الجيل الإسلامي الجديد في تراثه، وحقائقه الموضوعية، بما يُفوِّت عليه الفرصة من الإفادة من ذاكرته التاريخية، وبالتالي تتعمق حالة الانقطاع في مسار الأمة التاريخي، وهذا يُسهِّل عملية الذوبان مستقبلياً في هويات أخرى مناقضة لهويتنا)[1].

ومما يدعو للريبة أن أوساط التبشير والاستشراق المعاصر، أحاطوا هؤلاء بالعناية والرعاية، وبدأ الترويج لتلك الأفكار على أنها تمثل الفكر الإسلامي المستنير.

وانحصر تركيزهم على الجوانب السلبية من التراث الإسلامي، فيهولون من شأن تلك الانحرافات أو الأخطاء، لا سيما في القرون الأولى، مثل التركيز على الفتنة التي وقعت بين الصحابة، فيجعلون من هذه الفتنة مدخلاً للطعن في الصحابة والتابعين، والإساءة إليهم وإلى الإسلام، كما يحرص أصحاب هذه المدرسة على تمجيد الفرق الضالة، والاعتماد على الآراء الشاذة لبعض العلماء، وتشويه منهج أهل السنة، ووسمه بالتشدد والحجر على الحريات.

وهؤلاء يحشرون أنفسهم فيما لم يتأهلوا له، فتراهم يردُّون على العلماء المتقدمين بدعوى ومقولة يرددونها زوراً وبهتاناً: (هم رجال ونحن رجال) فيضاهون أنفسهم بالعلماء الراسخين، ويهرفون بما لا يعرفون، ويتحدثون بما لا يفهمون، ويشتغلون بالتنظير قبل التأصيل، فيأتون بعجائب وغرائب، وقد شقي الناس بهم، وبقبح ما يجيئون به من وقاحات، وجرأة على العلم وأهله، بل على الإسلام؛ باستهزائهم بنصوص القرآن والسنة، وتطاولهم على أحكام الشريعة، وهم في حقيقة الأمر لم يأتوا بجديد، إنما يردّدون – كالببغاوات – كلام أساتذتهم

---

(١) الغارة على التراث، جمال سلطان ص٥٦.

من المستشرقين، الذين يتتبعون السقطات وبعض النقاط المظلمة في تاريخ الأمة الإسلامية، ويُرَوِّجون لأفكار المذاهب المنحرفة التي ظهرت في تاريخ الإسلام، قاصدين التشويه والتشويش للتراث الإسلامي.

وبعض هؤلاء أو كثير منهم قد يبتعث إلى بلاد الغرب، فتكون الفرصة مواتية لأعداء الإسلام، ليتعاملوا معه، ويُشْبِعوه بالثقافة الغربية، فيعود إلى بلاده، ويدعو قومه إلى ما مُلئ به عقله وقلبه، ويتم استقطاب الشباب المسلم وإغراؤه بكافة المغريات للدراسة في جامعات ومراكز الغرب، والحصول أعلى الدرجات العلمية، ويتم تقديم المنح والمساعدات للدول الإسلامية لإيفاد أولادها إلى هذه الجامعات والمراكز، وهدفهم الأسمى من هذا كله هو تشكيك المسلم في دينه وعقيدته، وجذبه إلى الحضارة والثقافة الغربية بحيث يعود إلى بلده وهو محمل بالشبهات على الإسلام، ويدير ظهره لمصادر الثقافة الإسلامية الأصيلة وييمِّم وجهه وفؤاده شطر المصادر الغربية، يدرسها ويصدق ما جاء فيها من مفتريات على الإسلام.

وهؤلاء نقول لهم ولأمثالهم:

(دَخيلٌ في الكتَابةِ يدَّعيهــــــا * كدعْوى آلِ حـــــــربٍ في زياد

فدعْ عنك الكتابةَ لست منهــــا * ولـــو لطَّخت وجْهَك بالمداد)[1]

وأصحاب هذا المنهج لا يعرفون كيف يقرؤون القرآن قراءة صحيحة، فضلاً عن معرفة علومه، ولا يعرفون السنة وعلومها، ولا أصول الفقه ومباحثه، ولا اللغة العربية ومرامي ألفاظها، ومن سماتهم التبيعة المطلقة للفكر الغربي، والغرور وحب الشهرة والانهزام النفسي، ورفع الشعارات الزائفة، وإثارة

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي جـ٢ ص٥٠٢، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، دار الفكر، دمشق.

الشبه، وبلبلة الأفكار، والطعن والتشكيك في الأصول والقواعد الشرعية، والاستخفاف والسخرية بعلماء السلف، والإعجاب بكل جديد، والبغض لكل تليد. وقد نشأ الجهل عند هؤلاء بسبب التفقه من الكتب بدون شيخ، ومن هنا وبسبب سوء الفهم والتفقه بدون معلم يكون الجهل بمقاصد الشريعة، أو الجهل بالأدوات التي تفهم بها مقاصد الشريعة مما يوقع في الغلو والتشدُّد والتفرُّق.

ونخلص إلى أن غاية هؤلاء من تلك القراءة ما يلي:

- حجب الأمة الإسلامية عن الاستفادة بالتراث، وطمس هويتها الفكرية والثقافية.
- التمهيد لذوبان الأمة في هويات أخرى مناقضة لها.
- تشويه صورة الإسلام (عقيدة، وشريعة، وأخلاق).
- الدعوة إلى التخلي عن الدين بوصفه داع إلى التخلف.

﴿ المبحث الخامس ﴾

(مظاهر الانحراف في مناهج قراءة التراث الإسلامي)

أولا: الجمود وتقديس آراء الرجال

من الخلل المنهجي في قراءة التراث الإسلامي الغلو في تمجيده، والجمود على القديم، ورفض التسليم بأي جديد، وهذا الخلل ناتج عن الجهل وسوء الفهم، والنظر إلى كل جديد – يتوصل إليه باجتهاد منضبط – على أنه دخيل يفسد تراث الأمة وأصالتها، فنظروا إلى علوم الماضيين نظرة تعظيم وتقديس، فظهر فيهم التقليد والتسليم لأقوال السابقين وآرائهم، وهذا تحجير لما وسعه الله تعالى. وقد نتج عن هذه النظرة الضيقة، والتعصب لآراء الرجال وتقديسها، والجمود عليها، قلَّة الإنتاج العلمي لديهم، فساد الركود الفكري، وندُر الإبداع في الأمة.

ومعلوم أن كافة الأئمة لم يدَّعوا العصمة لأنفسهم، ولم يُقَدِّموا اجتهادهم على أنه وحيٌ بعد رسول الله (ﷺ)، بل الواضح من سيرتهم (رحمهم الله) تأكيدهم الدائم على الارتباط الوثيق بالكتاب والسنة، والعمل على ردّ الناس دائماً إليهما، وقد قرر الأئمة العلماء أن التعصب لشخص بعينه دون رسول الله (ﷺ) بحيث يعتقد الصواب فى جانبه دن سواه ضرب من ضروب الجهل، ولون من ألوان الضلالة، إلا أن عصور الانحطاط التى ألمَّت بالمسلمين تمخضت عن مقلدين لأئمة المذاهب، سلكوا فى تقليدهم مسلك التعصب الأعمى، الذى يصيب صاحبه بانعدام فى الرؤية، وخلل فى التوازن.

فالتعصب يطلق على التقليد الأعمى لما كان عليه الأسلاف دون بصر ولا نظر، ودون تفريق بين حق وباطل، مع التشدد في الاستمساك به، والانتصار له، ولو كان باطلاً لا يمت إلى الحق والصلاح بصلة فكرية أو واقعية، وهذا التعصب أمر مذْموم، وقد ذمَّ القرآن المتصفين به ذماً شديداً، فقال الله تعالى في

شأن المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾[1].

فالتعصب المذموم لا سند له إلاّ الانتصار لما كان عليه الآباء والأجداد، والمحافظة عليه والتزامه، ولو كان غير مستند إلى عقل أو هداية، أما الالتزام بما كان عليه الأسلاف من حق يشهد به المنطق الصحيح، وتقوم عليه دلائل الواقع، فليس هو من التعصب في شيء، وإنما هو استمساك بالحق، وهو فضيلة لا يجافيها الإنسان إلا متجهاً في سبل الرذيلة.

وقد نتج عن هذا التعصب أن التزم الناس بما لم يلزمهم الله به، وشددوا على أنفسهم بما ليس مستوجباً للتشدد، فضيَّقوا ما هو واسع، وعسَّروا ما هو ميسر، وتسبَّب اختلاف قلوبهم فى إضعاف شوكتهم أمام أعدائهم، فصاروا لقمة سائغة فى أيديهم.

وقد كان حرياً بهؤلاء أن يستفيدوا من تراث الفقهاء الضخم، وأن ينزلوهم المكانة اللائقة بهم، وأن من أراد أن يتبع إماماً من هؤلاء نظراً لقلة بضاعته فلا ضرر عليه، شريطة أن يدع التعصب، وأن يلتزم بأدب الأئمة فى عدم التطاول على المخالفين، فإذا تيسرت للبعض من أهل العلم أدوات النظر فى الترجيح بين الأقوال فهذا أمر محمود لصاحبه، دون أن يدعى العصمة لأقواله واجتهاداته، ودون أن يفرض على الآخرين الأخذ بمذهبه وآرائه ذلك أن (نتائج الأفكار لا تقف عند حد، وتصرفات الأنظار لا تنتهي إلى غاية، بل لكل عالم ومتعلم منها حظ يحرزه في وقته المُقدَّر له، وليس لأحد أن يزاحمه فيه لأن العالم المعنوي واسع كالبحر الزاخر، والفيض الإلهي ليس له انقطاع ولا آخر، والعلوم مِنَحٌ إلهية، ومواهب صَمَدانية، فغير مُستَبْعد أن يُدخر لبعض المتأخرين ما لم يُدخر

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٠.

لكثير من المتقدمين، فلا تغتر بقول القائل: "ما ترك الأول للآخر!" بل القول الصحيح الظاهر: "كم ترك الأول للآخر!" فإنما يستجاد الشيء ويسترذل لجودته ورداءته في ذاته، لا تقدمه، ويقال " ليس كلمة أضر بالعلم من قولهم: ما ترك الأول شيئًا" لأنه يقطع الآمال عن العلم، فيقتصر الآخر على ما قدم الأول من الظاهر، وهو خطر عظيم)[1].

ومن آثار هذا الجمود وتقديس التراث في العصر الحديث ما فعله كثيرٌ من المفتونين بالتراث للمسارعة إلى تأسيس مئات دور النشر، ومكاتب التحقيق، التي تنشر كتب التراث بغض النظر – في بعض الأوقات – عن القيمة العلمية لبعض لهذه الكتب، وبغض النظر عن كونها تسهم في دفع الأمة نحو التقدم والرقي أم تسهم في تشويهها وتوقف مسيرتها، لأنه كما بيَّنت أن بعض كتب التراث – لا سيما التي أبرزها وركَّز على العناية بها أعداءُ الأمة الإسلامية – تحيي معارك عقدية وفكرية للمسلمين، وبعضها يشتمل على أحاديث ضعيفة وموضوعة، وبعضها يشتمل على الخرافات والأساطير، التي لا قيمة لها فكرية أو معرفية.

وقد نتج عن منهج هؤلاء الجامدين المفتونين بالتراث ما يلي:

– التشنيع على كل من يأتي برأي جديد ليس له سابقة في التراث لا يخالف إجماع الأمة، والمنضبط بشروطه المقررة عند علماء الإسلام.

– الإبقاء على كثير من المسائل دون حكم أو إبداء رأي فيها، وهذا فيه مفسدة وتعطيل للحياة، وخلق أنواع من التطرف الفكري، ودفع الناس للبحث عن بديل في القوانين الوضعية، والمذاهب الإلحادية.

---

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، جمال الدين القاسمي، ص٣٨، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ثانيا: التأثر بالمرجعيات الفكرية

إن المجترئين على التراث الإسلامي قد تتلمذوا على يد أساتذة الاستشراق بطريق مباشر أو غير مباشر، لذا تراهم يدورون في فلكهم، ولا يخرجون قيد أنملة في ترديد كلامهم، ثم يُغلِّفون ما قرأوه بغلاف جديد، ويبعثون ما كان قديماً من شبهات هؤلاء المستشرقين، ويُحييون ما اندثر منها في هجومهم على التراث الإسلامي.

والمستشرقون إن كانت لهم إسهامات في نشر التراث الإسلامي، إلا أن هذا ليس من باب الحفاظ على تراث هذه الإمة، ليكون كاشفاً وهادياً لها نحو نهضتها، وإنما سوء النية العلمية أمر ظاهر في كتاباتهم وأعمالهم، فهم يَدسُّون السم في العسل، وحين نشرو التراث الإسلامي وعكفوا على دراسته؛ كان ذلك بمثابة معرفة تراث أعدائهم (المسلمين) والتعرف على مشاعرهم واتجاهاتهم واهتماماتهم، بمعنى أكثر وضوحاً الوقوف على المفاتيح التي من خلالها يخططون لتدمير المسلمين في شتى المجالات، (إنهم عنوا بالنشر في اتجاهين: تراث الفرق، والإحن، وكل ما يؤدي إشاعته ونشره إلى تجديد النزاع بكل صوره الفكري والمذهبي والسياسي، وكذلك نشر كل ما يفقدنا الثقة بماضينا وأمجادنا، ورجالنا، وقادتنا)[١].

ولم يخل منهج المستشرقين من الخطأ والخلط، وقلب الحقائق المتعمد في أغلب الأحيان (ومن دأْب كثير من المستشرقين أنهم في أغلب الأحيان يذكرون عيباً واحداً، ويجوِّدون لتمكينه في النفوس بذكر عشرة محاسن، ليست لها أهمية كبيرة، وذلك كي يقف القارئ خاشعاً أمام سعة قلوبهم وسماحتهم، وكثير من

---

(١) المستشرقون والتراث، عبد العظيم الديب، ص٤٢، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة.

هؤلاء المستشرقين يدسُّون في كتاباتهم مقداراً خاصاً من السم ويحترسون في ذلك، فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم، حتى لا يستوحش القارئ، ولا يثير فيه الحذر، ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف)[1].

ثالثا: المغالطات

تُعرّف المغالطة بأنها: (قولٌ مُؤَلَّفٌ من قضايا شبيهة بالقطعية، أو بالظنية، أو بالمشهورة)[2].

والمغالطات تعتمد على الأكاذيب، والتزييفات، والتحريف، والإيهام، وإظهار بعض الأمر وإخفاء بعضه، (ويقصد بها اصطناع مقدمات مزيفة مزخرفة توهم بصحتها، فتسوق فِكرَ من يُراد إقناعه بالباطل من حيث لا يشعر، حتى تُوقعه في الغلط، وهو يحسب أنه على صواب، فيقبل الباطل الذي يساق إلى الاقتناع به، ويظنه حقاً، فيعتقد صوابه، ويؤمن به، ثمّ يدافع عنه ويبشر به)[3].

قلت: ونحن في زمن كثرت فيه المزالق والحيل والأكاذيب، وتنوعت فيه المغالطات الجدلية، ويلاحظ هذا – دون عناء – المتتبعُ للحوارات والندوات والمناظرات، التي تزخر بها القنوات الفضائية والصحف والمجلات.

ومن تلك المغالطات في قراءة التراث الإسلامي: الانتقائية، التي لا يمكن أن تكون منهجية في الحكم مطلقاً، وهذا ما يضرب على وتره هؤلاء المجترئون على التراث الإسلامي، فيعمدون إلى النص فيحذفون منه ما يغير المعنى المراد، وكذلك يقتصرون على ذكر بعض النص وترك بعضه الآخر، وقد

---

(١) الإسلام والمستشرقون، أبو الحسن الندوي ص١٤، مجلة البعث الإسلامي، ١٤٠٢هـ.

(٢) التعريفات، الجرجاني ص٢٢٣، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٣) كواشف زيوف، عبد الرحمن الميداني ص١٢٣.

يكتفي المغالط المحتال بحذف كلمة أو جملة، أو حرف من كلمة، إذا كان ذلك يفسد دلالة النص أو يُغيِّرُها، أو حذف شرط أو قيد في الموضوع، وهذا النوع من المغالطات يستخدمه المستشرقون والمبشرون، بغرض إيقاع القارئ في مفاهيم فاسدة عن الإسلام.

وقد يعمد هؤلاء إلى قول شاذ أو ضعيف متهالك، قد ردّه أهل العلم وفنّدوه، وبيَّنوا خطأه، فينبشه من جديد، ويُعيد نشّره على أسماع الناس؛ ليجعله حجة على أهل الإسلام، وقد يلتقط آراء وأقوال ضعيفة منسوبة إلى فرق غير معترف بها أصلاً، ومردودٍ عليها من جمهور المسلمين، فيأتي بها ويعتبرها هي المفاهيم المعتمدة.

رابعا: الانبهار بالثقافة الغربية الحديثة

لا تُوجد أمة من أمم الأرض الآن تملك تراثا كالذي تملكه الأمة الإسلامية في تنوعه وكثرته، وفي الوقت نفسه لا يُوجد تراث تعرَّض للطعن والتشويه والتغبيش بالقدر الذي تعرض له تراثنا الإسلامي، وهذا أتى من قبل أعداء الأمة الإسلامية من المستشرقين ومن لفَّ لفّهم من المفتونين بالحضارة الغربية، الذين ورثوا مناهج أساتذتهم، وبنوا عليها، فعملوا على إظهار التراث الإسلامي في صورة تنتابها الضآلة والتخلف، وأنه حجر عثرة في سبيل تقدم الأمة ونهضتها، (وقرروا أن الأسس التي علينا أن نُحدِّث حياتنا على هديها، هي المقاييس التي ترتضيها الحياة الغربية، فعلى مقدار الاقتراب منها تكون درجة تحضُّرنا، وأن شيئاً من التحضر لن يتم ما لم ننسلخ من الماضي بكل ما فيه)[(١)]، ومعلوم أن تطبيق منهج الحداثة الغربية على التراث الإسلامي يؤدي بنا إلى القطيعة مع

(١) اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، برهان غليون ص١٩٥.

التراث قبل التعرف عليه، ومن قبل ذلك تأثيره الضار بالهوية الإسلامية وطمسها.

ولم يأت هذا الانبهار من فراغ، بل نتيجة لخطوات كثيرة خطاها أعداء الإسلام في محاولة لتغريب حياة المسلمين وإغراقهم بالثقافة الغربية، لقد خاض معركة التغريب في بداية الأمر غربيون، كان على رأسهم المبشرون والمستشرقون، وبعد ذلك استطاع الغرب أن يُجنِّد من أبناء العرب والمسلمين جنوداً في كتائب التغريب، تُسبِّح أقلامهم وتلهج ألسنتهم بالثناء على الحضارة الغربية آناء الليل وأطراف النهار، حتى لقد قال أحدهم مُعبِّراً عن شغفه بالحضارة الغربية: (كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوربا، زاد حبّي لها وتعلُّقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها، هذا هو مذهبي الذي أعمل له طوال حياتي سراً وجهراً، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب)(١).

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي(٢) حين قال – ردًّا على هؤلاء، وكاشفاً لسوء نياتهم:

---

(١) اليوم والغد، سلامة موسي ص٤١، طبعة القاهرة، ١٩٩٤م.

(٢) أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي (١٢٨٥ –١٣٥١هـ = ١٨٦٨ –١٩٣٢م): أشهر شعراء العصر الأخير، يلقب بأمير الشعراء، مولده ووفاته بالقاهرة، تعلَّم في بعض المدارس الحكومية، وأرسله الخديوي توفيق سنة ١٨٨٧م إلى فرنسا، فتابع دراسة الحقوق، واطلع على الأدب الفرنسي، وعاد سنة ١٨٩١م، عالج أكثر فنون الشعر: مديحاً، وغزلاً، ورثاءً، ووصفاً، ثم تناول الأحداث السياسية والاجتماعية في مصر والشرق والعالم الإسلامي، فجرى شِعْرُه على كل لسان) الأعلام – الزركلي جـ١ ص١٣٦، ١٣٧.

(قُم في فَمِ الدُنيا وَحَيِّ الأَزهَرا * وَانثُر عَلى سَمعِ الزَمانِ الجَوهَرا

لا تَحذُ حَذوَ عِصابَةٍ مَفتونَةٍ * يَجِدونَ كُلَّ قَديمِ شَيءٍ مُنكَرا

وَلَوِ استَطاعوا في المَجامِعِ أَنكَروا * مَن ماتَ مِن آبائِهِم أَو عُمِّرا

مِن كُلِّ ماضٍ في القَديمِ وَهَدمِهِ * وَإِذا تَقَدَّمَ لِلبِنايَةِ قَصَّرا)[1]

وهذه الدعوة إلى الحداثة ورفض القديم فكَّكت العلاقة مع التراث، وكأن الماضي والحاضر لا يجتمعان، مع أنه ليس كل قديم منبوذ، ولا كل جديد مرحب به ومقبول.

---

(١) الشوقيات، أحمد شوقي جـ ١ ص١٥١، طبعة دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

﴿ المبحث السادس ﴾

(آليات التعامل مع التراث الإسلامي في العصر الحاضر)

المعيار والضابط في قراءة وفهم التراث الإسلامي هو العقل الناقد، والنظر الفاحص، والتحقيق العلمي الدقيق، بأن نأخذ من التراث ما هو حي وصالح ومعقول، ونرفض ما هو ميت وفاسد وغير معقول، وحين نرفضه نأخذ حِذْرنا أن نقع فيما وقع فيه من سبقنا.

والمنهج الذي نستطيع أن نعيش به عصرنا الحاضر هو أن نقرأ التراث بعيداً عن المعاصرة المغتربة الفاقدة للهوية، وكذلك مبتعدين عن غياب ذاتنا الحاضرة في التراث، وذلك وفق آليات محددة أعرضها في الآتي:

١ – التوظيف

إذا كان التراث الإسلامي له قيمته، وله احترامه في نفوسنا، فإنه ينبغي ألا يُكتفى بهذا الاحترام والتقدير بنقل التراث الإسلامي ونشره، وإنما ينبغي توظيفه من جديد، فإن البحث عن جذور الشيء وإظهارها لا يكفي، بل لابد من تغذية الجذور حتى تحقق ثمرة ونمواً من جديد، (فالعقول الجبارة حقاً، هي التي تكافح من أجل دمج معطيات التراث في مركب كبير شامل، هو الحياة الحضارية النامية والمتطورة وفق الأصول الربانية الهادية، وفي خدمة الأهداف السامية التي تسعى إلى بلوغها)[1].

والتراث الإسلامي غني بالتجارب والأساليب التي تسعفنا بصور شتى في إصلاح الشئون الحياتية التي نحياها اليوم، وفي إعمار الأرض التي نعيش عليها، إذا ما استطعنا توظيف هذه الصور بفهمٍ ووعي.

(١) تجديد الوعي، عبد الكريم بكار ص١٥٨.

٢- الاعتبار

وذلك بالنظرة المتأمِّلة في تراثنا الإسلامي بعلومه المختلفة، وما فيه من نجاح أو إخفاق، وهذا الاعتبار أمرنا الله تعالى به في مواضع كثيرة من كتابه، قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[٢].

فأخذ العبرة والعظة ممّا حدث للماضين في نجاحاتهم وانتكاساتهم لا يجعلنا نقع فيما وقعوا فيه من أخطاء، وتجعلنا ننطلق فيما أبدعوا فيه، ونؤسس عليه.
ومواطن الاعتبار في التراث الإسلامي أكثر من أن تحصى.

٣- الاستلهام

وذلك بأن نأخذ من التراث الإسلامي وما فيه من مواقف منيرة حافزاً ودافعاً نحو الحضارة والتقدم، بأن نركِّز على تلك الصور التي فيها مواقف البطولة، وروح التضحية والعطاء والبذل في سبيل الله، تلك المواقف التي نجدها في سيرة الأفذاذ من هذه الأمة الإسلامية، وكذلك القيم والأخلاق التي كانت سائدة في مجتمع المسلمين، وأن نركِّز في ذلك على الجوهر لا المظهر، لاختلاف مراحل الحياة السابقة عن مراحلها اللاحقة، (فالإصرار على نقل الأشكال التي استهلكها تقادم الزمن وتطور الحاجات، سيكون قريبا من نبذنا المضامين الخيرة لها)[٣].

٤- التجاوز

سادت في الماضي أشياء لا ينبغي التركيز عليها، بل تجاوزها، وعدم الاهتمام بها، لا سيما ما أنتجه العقل البشري في مراحل الجمود والانحطاط، وتوقف الحضارة الإسلامية عن النمو والعطاء،

---

(١) سورة يوسف من الآية: ١١١.

(٢) سورة الحشر من الآية: ٢.

(٣) من أجل انطلاقة حضارية، عبد الكريم بكار ص٣٨.

وكذلك ما كُتب في الأزمنة التي قعد الفكر فيها عن الإنتاج، وساد التعصب والتقليد، وحين أُلِّفت كتب السحر والعرافة والتنجيم، وانفصل الفكر عن الواقع.

٥- النقد

إن الانتفاع بالجيد وتجنب الرديء فيما يرثه الأبناء من الآباء والأجداد حق لهؤلاء الأبناء، فمن حقهم تسليط الضوء على ما ورثوه، ومحاولة الانتفاع بالجيد وتجنب الرديء، ونقده وبيان ما فيه من أخطاء، لذا فالدعوة إلى غربلة التراث الإسلامي ينبغي ألا تُفْهم بصورة خاطئة، وهي أخذ الإيجابيات وترك السلبيات، وإنما الفهم الصحيح أن نستفيد من صوابِ التراث الإسلامي وخطئِه، ومن إيجابياته وسلبياته، فما فيه من صواب وإيجابيات تخطَّاها الزمن نبني عليها، وأما الخطأ والسلبيات تظل بمثابة إنذار نأخذ منه الحذر، حتى لا نقع فيما وقعوا فيه في الأخطاء المشابهة.

ولم يَخْلُ عصر من عصور هذه الامة الإسلامية من صفوة من العلماء والمفكرين النقاد الذين كان لهم دور بارز في خدمة التراث الإسلامي، باستيعابه ونخله وغربلته، ثم البناء عليه وانتقاء النافع منه، فميزوا بين الأصيل والدخيل، والصحيح والسقيم، والغث والسمين، وسلموا بأنه لا يؤخذ كله ولا يترك كله، وأنه لا انتفاع في الحاضر إلا بالاستفادة من الماضي، ولا مستقبل لأمة ضيعت تراثها وتنكرت له، وكان للسلف باع في النقد والتمحيص، (وما زال العلماء قديما وحديثا يردُّ بعضهم على بعض في البحث وفي التواليف، وبمثل ذلك يتفقه العالم، وتتبرهن المشكلات)[١].

ولما كانوا يردُّون الأباطيل والأهواء، لم يَرُج في زمانهم الدخيل من الأفكار، أو الزائف من الآثار، فالتراث الإسلامي لا يخلص ويستقيم لهذه الأمة إلا بعد

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي جـ١٢ ص٥٠٠، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

غربلته ونخله، وتمحيص النافع والصالح لزماننا، بشرط سلامة المقصد، وسداد المنهج، واتباع قواعد منهج النقد والنظر عند علماء الأمة المعتبرين حتى نسلم من الانحراف الفكري، فلا تقديس ولا ازدراء للتراث الإسلامي.

وهذا التمحيص والنظر والنقد لا يسلم لكل أحد، إنما هو للعلماء الثّقات، الذين تمرَّسوا منهج نقد التراث وآراء الرجال، ورسوخ أقدامهم في علم المنطق الذي يعصم الذهن عن الوقوع في الخطأ، وأصول العقيدة، وعلوم العربية، وأصول الفقه، وعلم الجرح والتعديل، ومقاصد الشريعة، وتلك علوم من لم يتمرّس بها لا يستفيد من التراث الإسلامي، ولا يستطيع غربلته ونخله، أما من ظن أنه يستطيع ذلك ممن نراهم ليل نهار على شاشات الفضائيات، ممن تثقّفوا بالصحف والمجلات، ويلتقتون كلمة من هنا أو هناك، وبدأوا يكتبون عن الإسلام أي شيء، فانتظموا في سلك المثقفين، وأُطلِق عليهم اسم المفكر الإسلامي، وهم في حقيقة الأمر ومبناه يركزون على ما يشوش أفكار الناس ويفسد عليهم دينهم، فهؤلاء وأمثالهم لابد من تأديبهم، (كما فعل عمر (رضي الله عنه) مع أعرابي جاء إلى المدينة يسأل عن غرائب العلم، يقال له صبيغ بن عسل التميمي[1]، فصرفه عمر(رضي الله عنه) عن ذلك، ودعا بعراجين النخل وأدبه، وأمر ألا يجالسه أحد من المسلمين)[2].

---

(١) صبيغ بن عسل، ويقال: صبيغ بن شريك، من بني عسل ابن عمرو بن يربوع بن حنظلة التميمي البصري، الذي سال عمر بن الخطاب عما سأله فجلده، وكتب إلى أهل البصرة أن لا يجالسوه) الوافي بالوفيات – الصفدي جـ١٦ ص١٦٣، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.

(٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر جـ٢٣ ص٤١٠، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.

لذا: فالطريقة المثلى في قراءة التراث تتمثل في (القراءة المنهجية: التي نبتعد فيها عن القبول المطلق، أو الرفض المطلق، أو الانتقاء العشوائي.

والقراءة التكاملية: في جوانبه الفكرية والنصية والعرفانية، وكذلك في مصادره التي تعالج نواحيه المختلفة وعلومه المختلفة.

والقراءة الإحيائية: بالبحث عن مناهجه للاستفادة منها، وصياغتها، وبيان كيفية تشغيلها في ظل مقتضيات عصرنا.

والقراءة العادلة: بعيداً عن نزع التراث عن زمنه وظرفه التاريخي وقياسه بمفاهيم عصرنا ومصطلحاته)[١].

إن المنهجية التي تتعامل مع التراث يجب أن تكون منهجية متكاملة فاهمة واعية، وتتعامل مع التراث من الداخل ومن الخارج، ويجب أن تكون متمثلة روح التراث التي تعكس روح الإسلام ولا تناقضه، وتهدف إلى بناء الإنسان لا أن تهدمه

إننا بحاجة اليوم إلى صياغة منهج استقرائي دقيق يمكننا من حماية تراثنا من كل دخيل؛ فلقد وضع هؤلاء العلماء السابقون في أعمالهم ركائز راسخة للنظر إلى النص من خلال إطاره التاريخي واللغوي، وما يدل عليه السياق من دلالات.

فإذا أردنا أن نقرأ تراثنا علينا أن نقرأه بصفتنا أبناء له وأمناء عليه، وأن يكون التعامل في إطار احترام للجهد البشري المبذول، مع ضرورة وضعه في سياقه الصحيح زماناً ومكاناً، وإمكانية القياس عليه تبعاً للقواعد المعروفة، مع ضرورة أن يمارس تلك العملية متخصصون مؤهلون قادرون على ذلك، حتى لا ينتج غيرهم أفكاراً مشوهة تزيد من الهوة بين الأمة وتراثها.

---

(١) كيف نتعامل مع التراث الإسلامي، د. علي جمعة ص١٩٨.

منهجية التعامل مع كتب التراث الإسلامي

لا ينكر أهمية التراث ولا عظيم قدره إلا مكابر، فهو (تراث غني، تشكل عبر ألف وأربعمائة سنة، ويحمل بصمات كل تلك القرون وإشكاليتها ووعيها بزمنها وعبقرية وقصور أصحابها في الوقت ذاته)[١].

وليست الدعوة إلى ضرورة العودة إلى التراث عودة صحيحة بدعا من الدعوات؛ (لأن الأمم المتميزة والفاعلة في مسارات الوجود الإنساني ذوات خبرات تاريخية كبرى، وهي مجمعة على التمسك بتراثها، والاعتزاز به بكل ما يحمله من عطاء ديني وروحي، وعقلي وفني ومدني، بل إن كثيراً من الأمم تضفي على تراثها هالة تبجيل وتعظيم تصل أحيانا إلى درجة القداسة)[٢].

ومن ثَمَّ كان الواجب على الأمة أن تتجه الاتجاه العلمي الصحيح والسليم للإفادة من كنوز تراثها العظيمة، وذلك من خلال عدة خطوات، ومن أهمها ما يلي:

أولاً: إحياؤه ونشره، وذلك ببذل الجهود الواعية من خلال الأمور التالية:

- جمع النفائس والكنوز من المخطوطات المتناثرة.
- تصنيف المخطوطات وفرزها وعمل فهارس للتيسير على الباحثين الوصول إليها.
- تقييم المخطوطات من قبل المتخصصين تقييماً أولياً ببيان غثها من سمينها.
- توجيه الباحثين في مختلف التخصصات إلى جمع المخطوطات وتحقيقها لترى النور.

---

(١) التراث وإشكالياته الكبرى نحو وعي جديد بأزمتنا الحضارية، جاسم سلطان، ص٢٥، الطبعة الثانية، الشبكة العربية للأبحاث، ٢٠١٥م.

(٢) الغارة على التراث، جمال سلطان، ص٦.

ثانياً: قراءته قراءة نقدية، والإفادة من حَسَنِه وما أكثره، والحذر من رديئه، وعدم نقل قداسة النص الشرعي إليه، وهذا لا يكون إلا من أهل الاختصاص، لا من عامة الناس، لذا كان التفاعل مع التراث واجباً من أجل ترشيد آثاره في الحاضر، واتقاء سلبياته.

ثالثاً: الاستفادة من تراث الأئمة في مناهجهم، وكيفية تعاملهم مع الأحداث والوقائع، وعدم الوقوف الحرفي عند المسائل فقط، فإن معالجة مسائلهم كانت واجب وقتهم، وواجب وقتنا معالجة قضيانا وما استجد فيه من مسائل ونوازل بالإفادة من مناهجهم.

رابعاً: الإضافة إليه؛ لتستمر عجلة الإبداع والتميز الحضاري، فإن إيقاف الإبداع الإنساني يعد ظلما لتراثنا المجيد، وإن من أهم العلائق التي ينبغي أن تربطنا بتراثنا هي علاقة الإضافة، بمعنى دفع الجهود الإنسانية في مختلف الجوانب لتستمر حركة الإبداع.

فالتعامل الصحيح مع التراث وفق هذه المنهجية العلمية يضمن للأمة الإفادة القصوى من تاريخها، ليكون لها عبرة وعظة من أحداثه، تتقوى به في مسيرتها، وتتجاوز به جوانب القصور والخلل.

وهذه هي المنهجية المتوازنة في التعامل مع جوانب التراث المتعددة لا بالنفي الكلي، ولا بالتعصب للآباء بغير وعي، ولا بالنتقاء العشوائي المتخبط، وإنما بالمعيار الذي يفرز السليم من غيره؛ ليستثمر الأول، ويتقي آفة الآخر.

الخاتمة

بعد هذه الإطلالة الموجزة على مفهوم التراث الإسلامي، وخصائصه، والاختلاف المنهجي في قراءته، يمكن في خاتمة هذا البحث أن أوجز أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وهي كما يلي:

أولا: النتائج

١- الحدود الزمنية للتراث الإسلامي تتسع لتشمل كل إنتاج فكري، ومنجز علمي وصل إلينا مدوناً مكتوباً أو شفوياً، ورحل صاحبه.

٢- الوحي الإلهى لا يقبل الانتقاء والاختيار منه، أو محاولة تطويعه للواقع، أو التفكير فى توظيفه لتحقيق مصالح خاصة أو عامة، أما المنجزات البشرية الحضارية، فإنها قابلة للانتخاب والتوظيف وفق الرؤية المعاصرة، وظروف الزمان والمكان، وتغير الوقائع والأحداث.

٣- نصوص الوحي لا تدخل في مفهوم التراث الإسلامي، لأنها ليست من إنتاج الآباء، ولا من معطيات التاريخ، وتعاملنا معها يختلف تماماً عن تعاملنا مع التراث.

٤- الجديد قد يكون أحياناً امتداداً للقديم، فلا مانع من قبوله، ولا تناقض بين الجديد الصالح، وبين القديم الصالح.

٥- التراث الإسلامي ثروة حضارية ودافع للأمة الإسلامية نحو نهضتها، واستعادة مكانتها، وقيادة ركب الإنسانية كما قادتها من قبل، ودليل تميزها وتفردها.

٦- التراث الإسلامي تعرَّض لتحريف وتزييف كثير خلال مراحل التاريخ الإسلامي، وذلك بسبب اختلاف مناهج النظر والتلقي في قراءة التراث، فكلٌ يقرأ التراث الإسلامي حسب مشاربه ومرجعيته الفكرية.

٧- التراث الإسلامي مع وضوح قيمته إلا أنه ليس فيه الحلول الجاهرة والسريعة لمشكلاتنا الحالية، وإنما فيه الأصول الهادية إلى ذلك، شريطة أن تفهمه الأمة الإسلامية، وتتفاعل معه.

٨- التراث الإسلامي ليس تابعاً لأي نتاج حضاري آخر، وإنما هو مهيمن على مسارات الحركة الإنسانية في كل الميادين لقرون متطاولة، فهو غير قابل للتهميش

٩- التراث الإسلامي يحترم العقل الإنساني، وذلك بأنه يحرص على ذكر الدليل، فاستصحاب الدليل بأنواعه المختلفة داخلٌ في كل الفروع المعرفية التي يشتمل عليها التراث.

١٠- لا يوجد تراث مكتوب على وجه الأرض يشغل المسافة الزمانية التي شغلها التراث الإسلامي، فهو تراث ممتد موصول من الناحية التاريخية، ولم يشهد انقطاعاً في أي جيل من أجيال هذه الأمة.

١١- من الخلل المنهجي في قراءة التراث الإسلامي الغلو في تمجيده، والجمود على القديم، ورفض التسليم بأي جديد، وهذا الخلل ناتج عن الجهل وسوء الفهم، والنظر إلى كل جديد – يتوصل إليه باجتهاد منضبط – على أنه دخيل يفسد تراث الأمة وأصالتها

١٢- المعيار والضابط في قراءة وفهم التراث الإسلامي هو العقل الناقد، والنظر الفاحص، والتحقيق العلمي الدقيق، بأن نأخذ من التراث ما هو حي وصالح ومعقول، ونرفض ما هو ميت وفاسد وغير معقول.

ثانيا: التوصيات

١- يجب ألا يتكلم في علوم الدين والشريعة إلا أهل الاختصاص، لا سيما في ظل الهجمة على تراث أمتنا، فحرية الرأي حق للجميع، لكنها ليست مِلكًا للجميع.

٢- تكثيف الدور الفاعل للأزهر الشريف -حفظه الله- وكل المؤسسات المنبثقة عنه؛ لمواجهة الحملة الشرسة لتشويه التراث الإسلامي، والحد من انتشارها بين طبقات المجتمع المختلفة.

٣- ضرورة مواجه العبث بتراث الأمة الإسلامية بوضع قوانين رادعة من قِبَل أجهزة الدولة، ولا يُكتفى بردِّ العلماء، فلا يمكن أن نرى مَن لا يملك مؤهلات شرعية يخترع فقهًا جديدًا، ويمسخ كلَّ ما قدمه الأئمة الأفذاذ طوال تاريخنا، كما هو مشاهد مؤخراً في وسائل الإعلام.

٤- وضع حدّ لإثارة البلبلة حول المسلَّمات والثوابت الإسلامية، وزرع الشكوك فيما هو معلوم من الدين بالضرورة من داخل المجتمع الإسلامي، لأن ذلك يشكل خطراً على الدين والمجتمع.

والله من وراء القصد، وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم وسلم وزد وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المَصَادِرُ وَ المَرَاجِعُ

أولا: القرآن الكريم، كلام رب العالمين

ثانيا: مراجع متنوعة

١- **الإسلام والتحديات المعاصرة**، محمد عمارة، الطبعة الرابعة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.

٢- **الإسلام والمستشرقون**، أبو الحسن الندوي، مجلة البعث الإسلامي، ١٤٠٢هـ.

٣- **إعادة النظر في كتابات العصريين**، أنور الجندي، طبعة دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع.

٤- **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٥- **اغتيال العقل: محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية**، برهان غليون، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

٦- **البحث العلمي: مفهومه، أدواته، أساليبه**، ذوقان عبيدات وآخرون، طبعة دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

٧- **تاريخ دمشق**، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٨- **تجديد الوعي**، عبد الكريم بكار، الطبعة الأولى، دار القلم دمشق ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٩- **التراث وإشكالياته الكبرى نحو وعي جديد بأزمتنا الحضارية**، جاسم سلطان، الطبعة الثانية، الشبكة العربية للأبحاث، ٢٠١٥م.

١٠- **التراث والمعاصرة**، أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، سلسلة كتاب الأمة، شعبان ١٤٠٥هـ.

١٠- **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١١- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

١٢- **سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية**، شوقي ضيف، طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٣- **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م.

١٤- **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٥- **الشوقيات**، أحمد شوقي، طبعة دار العودة – بيروت، ١٩٨٨م.

١٦- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، أحمد بن علي القلقشندي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م.

١٧- **الغارة على التراث**، جمال سلطان، الطبعة الأولى، مكتبة السنة، الدار السلفية للنشر العلمي، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٨- **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٩- **كواشف زيوف**، عبد الرحمن حبنكة الميداني، الطبعة الثانية، دار القلم – دمشق، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٢٠- **كيف نتعامل مع التراث الإسلامي**، د. علي جمعة محمد، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد الخامس، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٢١- **لسان العرب**، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٢- **مدخل إلى التراث العربي والإسلامي**، خالد فهمي، الطبعة الأولى، مركز تراث للبحوث والدراسات، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٦م.

٢٣- **المستشرقون والتراث**، عبد العظيم الديب، الطبعة الثالثة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢٤- **المعاصرة في إطار الأصالة**، أنور الجندي، الطبعة الأولي، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٧هـ

٢٥- **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، دار الحرمين، القاهرة.

٢٦- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طـبعة دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٧- **من أجل انطلاقة حضارية**، عبد الكريم بكار، الطبعة الرابعة، دار القلم، دمشق، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

٢٨- **مناهج تحقيق التراث بين القدامي والمحدثين**، محمود رمضان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.

٢٩- **الموسوعة العربية العالمية**، مجموعة من العلماء والباحثين، الطبعة الثانية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٣٠- **موقف إزاء التراث**، عماد الدين خليل، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٩) مارس ١٩٧٧م.
٣١- **نظرية التراث**، فهمي جدعان، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٥م.
٣٢- **الوافي بالوفيات**، الصفدي، طبعة دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٣٣- **وفيات الأعيان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، طبعة دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات



